Volume (25), No. (2) - (June)/(2025)

الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية (الرهاب الاجتماعي) في رواية مقصلة الحالم لجلال برجس

الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية (الرهاب الاجتماعي) في رواية مقصلة الحالم لجلال برجس

فاطمة أحمد عبد القادر الزغول الزغول, موسى سامح ربابعة
جامعة اليرموك; جامعة
fatimamzghoul@gmail.com, test@email.com

*(Corresponding author) e-mail: fatimamzghoul@gmail.com

الملخّص

الملخص:
تناولت الدراسة صوراً من الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية من جانب الرهاب الاجتماعي، المتمثلة لدى شخصيات رواية مقصلة الحالم للروائي الأردني جلال برجس، الذي برزت في رواياته نماذج كثيرة لهذا الجانب السيكولوجي.
قسّمت الدراسة إلى مقدمة تناولت موضوع الدراسة، ومفهوم الشخصية الروائية، وأهمية دورها في بناء الرواية، ومفهوم الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية، ومفهوم الرُهاب، والدراسات السابقة التي تطرقت إلى الجانب الرّهابي من الشخصية في النصوص الأدبية.
وبحثت الجزئية الأولى من الدراسة في مفهوم الرهاب الاجتماعي، وأسبابه، والعوامل التي أدت إلى تشكّله لدى الشخصيات الروائية في رواية مقصلة الحالم، كما عرضت الجزئية الثانية من الدراسة صوراً من الرهاب الاجتماعي لدى شخصيات الرواية المذكورة، مبرزة شواهد على الرهاب الاجتماعي فيها، موضحة عوامل تشكّل هذا الجانب الرهابي لدى شخصيات الرواية.

ABSTRACT

Psychological density from the aspect of social phobia, represented in the characters of the novel Guillotine of the Dreamer by the Jordanian novelist Jalal Barjas, in whose novels many examples of this psychological aspect emerged. The study adopted the psychoanalytic approach by extrapolating the psychological aspect of the characters of the novel Guillotine of the Dreamer, analyzing the phenomenon of social phobia in them, and studying the causes and implications of this phenomenon, and its repercussions on the character. The importance of the study emerges from the scarcity of studies that dealt with the phenomenon of social phobia in the Jordanian novel, with the emergence of this phenomenon in many Jordanian novelistic texts, especially in the novels of Jalal Barjas.
Keywords: The character with psychological density, phobia, social phobia.

Article history:

Submission Date: 25/08/2024

Reviewing Date: 17/11/2024

Revision Date: 25/05/2025

Acceptance Date: 06/04/2025

Publishing Date: 01/06/2025

DOI:

Keywords:

الرهاب الاجتماعي

Funding:

This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors.

Competing interest:

No competing interests exist.

Cite as:

الزغول, ف., ربابعة, م. (2025). الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية (الرهاب الاجتماعي) في رواية مقصلة الحالم لجلال برجس. Research for Jersah and Studies 25 (2).

© The authors (2025). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY NC), which permits non-commercial re-use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited. For commercial re-use, please contact admin@jpu.edu.jo.

الرُهاب الاجتماعي لدى شخصيات رواية "مقصلة الحالم" لجلال برجس

الباحثة فاطمة أحمد عبد القادر الزغول

طالبة دكتوراه/ كلية الآداب/ قسم أدب ونقد/ جامعة اليرموك

الأستاذ الدكتور موسى سامح ربابعة

تاريخ الاستلام 12-09 -2024 **تاريخ القبول 23-10-2024**

الملخص

تناولت الدراسة صورًا من الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية من جانب الرهاب الاجتماعي، المتمثلة لدى شخصيات رواية مقصلة الحالم للروائي الأردني جلال برجس، الذي برزت في رواياته نماذج كثيرة لهذا الجانب السيكولوجي. وانتهجت الدراسة المنهج التحليلي النفسي والمنهج الاجتماعي، باستقراء الجانب السيكولوجي لشخصيات رواية مقصلة الحالم، وتحليل ظاهرة الرهاب الاجتماعي لديها، ودراسة أسباب ودلالات هذه الظاهرة، وانعكاساتها على الشخصية. وتبرز أهمية الدراسة من قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة الرهاب الاجتماعي في الرواية الأردنية، مع بروز هذه الظاهرة في كثير من النصوص الروائية الأردنية، وخصوصًا في روايات جلال برجس.

الكلمات المفتاحية: الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية، الرُهاب، الرُهاب الاجتماعي.

The Social Phobia of Characters in the *Novel the Dreamer's Guillotine* by Jalal Barjes

Abstract

Psychological density from the aspect of social phobia, represented in the characters of the novel Guillotine of the Dreamer by the Jordanian novelist Jalal Barjas, in whose novels many examples of this psychological aspect emerged. The study adopted the psychoanalytic approach by extrapolating the psychological aspect of the characters of the novel Guillotine of the Dreamer, analyzing the phenomenon of social phobia in them, and studying the causes and

implications of this phenomenon, and its repercussions on the character. The importance of the study emerges from the scarcity of studies that dealt with the phenomenon of social phobia in the Jordanian novel, with the emergence of this phenomenon in many Jordanian novelistic texts, especially in the novels of Jalal Barjas.

Keywords: The character with psychological density, phobia, social phobia.

المقدمة:

تناولت هذه الدراسة الجانب السيكولوجي الرهابي للشخصية الروائية التي تُعدُّ من أهم أركان الرواية، إذ اعتبرها أرسطو في المرتبة الثانية في بناء (التراجيديا) بعد الحبكة التي جعلها في مقدمة العمل التراجيدي.[١] وما يميز الشخصيات الروائية كما يقول فورستر؛ إمكانية انتزاعها من الحياة وأحلالها في كتاب، كما يمكن انتزاعها من الكتب، وامتثالها في واقع الحياة،[٢]ما يشير إلى تمثيل الرواية بشخصياتها، وأحداثها، للواقع الاجتماعي الإنساني.

قُسّمت الدراسة إلى مقدمة تناولت موضوع الدراسة، وأقسامها، والدراسات السابقة التي تطرقت إلى الجانب الرّهابي من الشخصية في النصوص الأدبية، وتناولت الجزئية الأولى مفهوم الشخصية الروائية لغة واصطلاحًا، ومفهوم الرُهابً،

وبحثت الجزئية الثانية من الدراسة في مفهوم الرهاب الاجتماعي، وأسبابه، والعوامل التي أدت إلى تشّكله لدى الشخصيات الروائية في رواية مقصلة الحالم، كما عرضت الجزئية الثالثة من الدراسة صورًا من الرهاب الاجتماعي لدى شخصيات الرواية المذكورة، مبرزة شواهد على الرهاب الاجتماعي فيها، موضحة عوامل تشّكل هذا الجانب الرهابي لدى شخصيات الرواية.

أما الخاتمة، فقد لخصت فيها الباحثة نتائج الدراسة التي توصلت إليها حول مدى تشكّل ظاهرة الرهاب الاجتماعي لدى شخصيات رواية مقصلة الحالم، وعوامل تشكّل هذه الظاهرة.

ومن الدراسات التي تناولت جوانب من الرُهاب لدى شخصيات النصوص الأدبية:

- ثقافة الخوف في الرواية العربية الحديثة، ورقة بحثية، أ. د إبراهيم السعافين، مؤتمر فيلادلفيا الحادي عشر (ثقافة الخوف) من ٢٤ إلى ٢٦ نيسان ٢٠٠٦م.
- ثقافة الخوف من البطش إلى التدجين، دراسة في نموذجين من الرواية العربية د. علي محمد عودة، جامعة القدس المفتوحة، مؤتمر فيلادلفيا الحادي عشر (ثقافة الخوف) من ٢٤ إلى ٢٦ نيسان ٢٠٠٦م.
- رُهاب الحلم، مقاربة ميكروسردية لقصة (محاولات) القصيرة جدًا للكاتب حسن علي البطران، مقالة لفاطمة الزغول منشورة في جريدة الدستور الأردنية بتاريخ ١٨ كانون الأول عام ٢٠٢٠م.
- الأنا والآخر في رواية سيدات الحواس الخمس للروائي جلال برجس، رسالة ماجستير للباحث حسين أبو حجيلة، بإشراف الدكتورة منتهى الحراحشة، جامعة آل البيت، بتاريخ ١٩/ ٨/ ٢٠٢٠م.
- الأدب ورهاب الانتظار، مقال لعبد الله إبراهيم باحث وناقد عراقي، منشورة في مؤسسة الفكر العربي بتاريخ ٢٠/ ١ / ٢٠٢٤م.

مفهوم الشخصية لغة واصطلاحًا

والشخصية من شخص، ورد في معجم لسان العرب لابن منظور"الشَّخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشِخاص" [٣] فالشخص في المعاجم اللغوية يعني الكائن البشري، لكن الشخصية الروائية كائن على الورق، فما مفهوم الشخصية الروائية؟

يعرّف جيرالد برنس الشخصية Character) (بأنها " كائن موهوب بصفات بشرية وملتزم بأحداث بشرية " [٤] أما لطيف زيتوني فقد عرّفها بأنها" كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبًا أو إيجابًا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءًا في الوصف. الشخصية عنصر مصنوع، مخترع، ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها"[٥] واقترح الناقد المغربي حسن بحراوي تيبولوجية ثلاثية للشخصيات درس من

خلالها الشخصية في الرواية المغربية، استوحاها من نماذج "لوكاش في نظرية الرواية، الذي قام بإعداد تيبولوجية تتضمن ثلاثة أنواع من الروايات الأوروبية في القرن التاسع عشر، هي رواية المثالية المجردة، والرواية السيكولوجية، والرواية التربوية"[٦] وأما التيبولوجية التي اقترحها بحراوي فهي: "نموذج الشخصية الجاذبة، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: الشيخ والمناضل، والمرأة، ونموذج الشخصية المرهوبة الجانب، وقسمها إلى الأب والإقطاعي والمستعمر، ونموذج الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية، وقسمها إلى: اللقيط والشاذ جنسيًا والشخصية المركبة "[٧] وجميعها تبحث في طبيعة الشخصية وجوانبها السيكولوجية. فما مفهوم الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية؟ وما مدى تمثيلها في الرواية؟

ينسج الروائي خيوط روايته من خلجات شعوره، ونبضات إحساسه، يقول بسام قطوس:" لعله من الصعوبة بمكان أن يتشكل أدب دون أن يكون هذا الأدب جزءًا أو بعضًا من نفس صاحبه، أو من إحساسه بما حوله على أقل تقدير"[٨] لذا قامت فكرة التحليل النفسي في الأدب.

وتختلف الشخصيات الروائية ذات الكثافة السيكولوجية في مستوى هذه الكثافة النفسية، فهناك شخصيات تحمل عمقًا سيكولوجيًا، كالروايات التي تتخذ الحياة الداخلية موضوعًا، تكون فيه الشخصيات بكامل تفاصيلها النفسية، والروايات التي تصوّر الحياة العامة تكون شخصياتها أقل كثافة سيكولوجية.[٩] "فالشخصية ذات الكثافة السيكولوجية هي التي تستقطب جميع مظاهر الصراع حولها، سواء كان صراعًا داخليًا أم خارجيًا"[١٠] والتحليل النفسي للشخصية الذي قدمه فرويد، يكشف للمتلقي مظاهر وأعراض الكثافة السيكولوجية، وقد وصف سيجموند فرويد في محاضراته الأعراض النفسية التي تميز الشخصية المأزومة نفسيًا بأنها في مجملها تظهر أنفعالات وأفعالًا غير مجدية تؤديها كارهة، وتقترن بشعور موجع، ويكمن صراعها في المجهود الذي تبذله في تظاهرها بأنها طبيعية.[١١]

وهناك عدة أنواع من الكثافة السيكولوجية يمكن أن تظهر عند الشخصية كالحصر أو القلق والاكتئاب والانطواء وغيرها، ومن أبرز الظواهر السيكولوجية التي ذكرها فرويد وغرانفيل ستانلي عالم النفس الأميركي، ظاهرة الرُهاب(Phobia) وهي نوع من الحصر والخوف من خطر متوقع

حدوثه في ذهن الشخصية من أشياء قد لا تشكل خطرًا في ظاهرها، وأنواع الرُهاب كثيرة لا حصر لها، وقد قسمها فرويد إلى ثلاثة أقسام من حيث نوع الخطر ومدى وجوده فعليًا، فالأول منها ما كانت المواقف والموضوعات التي تشكل الرُهاب عند الشخصية مخيفة بالفعل وتشكل خطرًا، مثل رُهاب الحيوانات المفترسة، فهي تشكل خطرًا للأسوياء فلا يبدو الخوف منها مستغربًا.[١٢]

والنوع الثاني من الرُهاب، كما يرى فرويد هو الرُهاب من وجود خطر محتمل حدوثه في بعض الحالات، كرُهاب السكة الحديدية، فحالات الاصطدام فيها لا تحدث دائمًا، لكنها قد تحدث نادرًا، والخوف منها حالة غريبة، لكنها مبررة نوعًا ما، والنوع الثالث خطر لا وجود له إلا في ذهن الشخصية، كالخوف من ملامسة القطة لثوب فتاة، والرهاب يبدأ منذ الطفولة برُهاب الوحدة ورُهاب الظلام وكليهما ناتج عن فقدان الرعاية العاطفية من الأم والأب.[١٣]

والرُهاب في معجم لسان العرب لابن منظور من " رهِب، بالكسر، يرهب رهبة ورُهبًا، بالضم، ورهَبًا، بالتحريك، أي خاف، ورهب الشيء رهبًا ورهبة: خافه"[١٤]فالرُهاب من الرهبة بمعنى الخوف.

أما مفهوم الرُهاب (Phobia) في معجم مصطلحات الطب النفسي "رهُاب، خواف، خوف مرضي، وهو الخوف غير المبرر من مصادر وأشياء معينة"[١٥]

الرُهاب الاجتماعي، مفهومه وأسبابه:

تسيطر على الشخص في كثير من المواقف حالات التوتر والقلق عند التعرض للمواجهة الاجتماعية المباشرة التي تجعل منه محطًا للأنظار، ويكون عرضة لسماع أحكام الآخرين وآرائهم حول سلوكه أو أدائه، وهذا أمر طبيعي يواجهه عامة الناس، فإذا زاد هذا التوتر والقلق لدرجةٍ تدفع بالشخص للجوء إلى العزلة، والابتعاد عن المواقف التي تدفعه إلى مواجهة المجتمع؛ أصبح الشخص مصابًا بما يسمى الرُهاب الاجتماعي، فما هو الرُهاب الاجتماعي؟ وما هي أسبابه وانعكاساته على الشخصية؟ وما مدى جلاء هذه الظاهرة النفسية في رواية مقصلة الحالم لجلال برجس؟

عرّف معجم مصطلحات الطب النفسي الرُهاب الاجتماعي Social phobia بأنه "خوف مرضي من المجتمع والناس، ويحدث في المواقف التي تتطلب مواجهة الناس"[١٦]فالرُهاب الاجتماعي

خجل وتوتر من العلاقات الاجتماعية، يحد من نشاط الشخصية الاجتماعي، ويدفعها إلى الانكفاء على الذات والعزلة، ما ينعكس على طاقتها الإنتاجية، وعلاقاتها الاجتماعية.

تنتشر حالات الرُهاب الاجتماعي في المجتمعات الإنسانية بنسب متفاوتة، تعتمد هذه النسب في اختلافها على العوامل الثقافية والاجتماعية، لكن الدراسات التي تهدف إلى تحديد نسبة الانتشار في مجتمع محدد نادرة، وذلك لصعوبة التنفيذ، [١٧] ويعبّر عن هذا النوع من الرُهاب بمصطلحات مختلفة مثل: الخوف الاجتماعي (Social phobia) والرُهاب الاجتماعي، والقلق الاجتماعي (Social anxicly) والخجل أو الحياء أو الارتباك في المواقف الاجتماعية، وهو من الاضطرابات النفسية الصغرى أو العصابية،[١٨]

أما عن الأسباب وراء حدوث الرُهاب الاجتماعي عند الشخصية، فقد اعتبر معظم الباحثين أن القلق الاجتماعي والرُهاب من الآخرين أمر فطري وطبيعي وله عدة إيجابيات، فهو يدفع الشخص إلى محاولة الظهور بمظهر حسن ولائق أمام الآخرين، كما يجعل لديه الدافع للاستعداد والتدرب وتهيئة الذات قبل الوقوف والتحدث أمام الآخرين، ما يكسبه قدرات اجتماعية، ولكن إذا زاد هذا القلق والخوف من مواجهة الناس عن الحد الطبيعي ، أصبح حالة عصابية مرضية تنعكس على الشخصية سلبًا، ويدفعها إلى العزلة والابتعاد عن مخالطة المجتمع ومشاركته خوفًا من الحرج وأحكام الآخرين السلبية، ولهذا النوع من الرُهاب ثلاثة أصناف من الأسباب: أسباب عضوية وراثية، وأسباب نفسية ، وأسباب سلوكية نمائية ومعرفية.[١٩]

فالأسباب العضوية الوراثية اعتبرها الباحثون نتيجة تكرار حالات الرُهاب الاجتماعي لدى عدد من الشخصيات في نفس العائلة عندما تربطهم قرابة من الدرجة الأولى ، فيعزى ذلك لوجود عامل وراثي لهذه الظاهرة، والأسباب النفسية هي ما اعتبرتها مدرسة التحليل النفسي بأن المخاوف المرضية، هي تحولات للقلق والرغبات المكبوتة داخل الشخصية في اللاشعور والمرتبطة (بعقدة أوديب)، وترتبط هذه الرغبات المكبوتة العدوانية والجنسية والرغبة في الظهور والتفوق عادةً، بالشعور بالإثم والذنب والتقليل من أهمية الذات، وأما الأسباب السلوكية، فهي حصيلة دراسات المدرسة السلوكية في تفسير

حالات الخوف الاجتماعية باعتبارها نتيجة للتجارب والصدمات المؤلمة التي تمر بها الشخصية، وتولد لديها تراكمات تختزنها الذاكرة والعقل الباطن، فتصبح الشخصية قلقة من تكرار هذه التجارب والصدمات، فتميل إلى العزلة والخوف من مواجهة الآخرين .[٢٠]

أما الأسباب النمائية فهي تعود إلى المدرسة النفسية النمائية(Developmental Psychology) التي تبحث في مراحل نمو القدرات الاجتماعية عند الشخصية منذ الطفولة المبكرة إلى سن الشباب.[٢١]

وظاهرة الرُهاب الاجتماعي صوّرها عديد من الروائيين، ممن جنحوا إلى تمثيل الواقع بما فيه من أزمات واضطرابات وشعور بالخيبة والميل إلى العزلة، فظهرت صور من الرُهاب الاجتماعي لدى الشخصيات الروائية، فكأن الرواية تحولت إلى (كاميرا) لتصوير واقع الإنسان ومعاناته ومخاوفه، فاختلط الواقعي بالتخيلي، وتحولت الصور بفعل الروائي إلى كلمات.[٢٢]

اهتمت الرواية الأردنية بتصويرالظواهر النفسية والاجتماعية، ومن الروائيين الذين برز في رواياتهم هذا الجانب السيكولوجي؛ الكاتب الأردني جلال برجس*، ومن رواياته التي صورت الرُهاب الاجتماعي لدى شخصياتها المحورية، رواية مقصلة الحالم،[٢٣]فواقع المجتمع الأردني كما يقول نبيل حداد: " واقع انتقالي؛ فالمجتمع الأردني الحالي مجتمع جديد سواء بتكوينه السكاني ، أو بتوزيعه الجغرافي: أي أنه ظل يمر بمراحل تحول متلاحقة منذ قيام الإمارة إلى الآن؛ إذ تحولت قطاعات كبيرة من السكان حديثًا من الرعي إلى الزراعة، ونشأ عن هذا التحول قيام تجمعات سكنية حديثة أخرى، كما أن هناك قطاعات أخرى تحولت من الريف إلى المدينة ، وهناك مجموعات كثيرة من البدو والمزارعين تركت مهنتها الأصلية إلى العمل الوظيفي "[٢٤]وهذا الواقع لا بد له من تأثير سيكولوجي على الشخصية الاجتماعية.

وجلال برجس المولود في قرية حنينا في محافظة مادبا الأردنية، عايش الفترة الانتقالية من حياة البادية والريف الأردني منتقلًا إلى حياة المدينة، وعبّر من خلال رواياته عن معاناته الشخصية في مراحل حياته المختلفة، وبرزت في رواياته الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية، والتي تعاني من ظاهرة

الرُهاب الاجتماعي، والميل إلى العزلة والخوف من مواجهة المجتمع، والشعور دائمًا بالحاجة إلى كرسي الطبيب النفسي لبث المعاناة والخوف من الصراع الخارجي والداخلي.

الرُهاب الاجتماعي لدى شخصيات رواية مقصلة الحالم:

تحمل رواية (مقصلة الحالم) للروائي جلال برجس رؤية اجتماعية اختلطت بالجانب السياسي، فقد صوّرت قصة شاب جامعي خسر ربيع شبابه في المعتقل السياسي بتهمة جريمة لم يرتكبها، فخرج من السجن بعد عشرين عامًا، ليواجه سجنًا آخر يصنعه لنفسه، هو سجن العزلة، بعد أن وجد عالمًا مختلفًا عن العالم الذي اعتاد عليه قبل الاعتقال، فلم يجد من عالمه القديم سوى جدته التي أصبحت تشاركه سجنه الجديد الذي اختاره لنفسه، بعيدًا عن مخاوف المجتمع الذي أضحى غريبًا بالنسبة له، والذي لفق له تهمة أودت به في المعتقل، فعاد إلى قريته وكل ما يشغل باله معرفة من سبب له الاعتقال.

بدأ الجانب النفسي الرهابي يظهر في الرواية التي جاءت في فصلين، من العتبات الأولى ، فعتبة العنوان تحمل مفارقة جسدت الصراع بين الأنا والآخر، واختصرت المضمون السردي في الرواية **(مقصلة الحالم)** ، فالشخصية الحالمة بالحياة والمستقبل في الرواية لا تستطيع تحقيق أحلامها التي تواجه رهابًا اجتماعيًا، يقتل هذه الأحلام قبل أن تكتمل، تقول فاطمة الزغول **" تقودنا فلسفة فرويد في تفسير ظاهرة الحلم إلى ظاهرة الخوف والرُهاب التي تسيطر على النفس البشرية في صراعها مع رغباتها المكبوتة التي تحاول إخفاءها، وذلك لمخالفة هذه الرغبات والقوى لرقابة الأعراف السائدة والقوى الرادعة التي تمنع من ظهورها"**[٢٥]

وهنا تبدو جمالية العنوان والبراعة في اختياره، ففي هذا العنوان اختزال لفحوى فكرة الرواية، ورؤية الروائي، يقول بسام قطوس:**" العنوان سمة العمل الفني أو الأدبي الأول، من حيث هو يضم النص الواسع في حالة اختزال وكمون كبيرين، ويختزن فيه بنيته أو دلالته أو كليهما في آن. وقد يضم العنوان الهدف من العمل ذاته"**[٢٦]

والعتبة الثانية في الرواية التي تبدو من خلالها الظواهر السيكولوجية، هي الإهداء **" إلى امرأة بيني وبينها قمر، كلما أطلّ من جبين السماء، نراه بعين القلب فينير عتمة المسافات "**[٢٧]فالمرأة شكلت

أثرًا بارزًا في كسر حواجز العزلة لدى الشخصية المحورية في الرواية، فوجود الجانب الأنثوي والبعد العاطفي، شكل مفارقة في مواجهة الأزمة النفسية والاجتماعية التي خلفتها سنوات السجن.

استهل الروائي جلال برجس روايته بالسرد الإخباري ، تولى فيه (خالد) -الشخصية المحورية في الرواية- دور السارد المشارك في الحدث، فبدأ بذهابه بسيارته في يوم شديد البرودة إلى المعتقل الذي أمضى فيه عشرين عامًا، لا يدري لماذا ذهب، ثم ينتقل الراوي إلى الحوار الداخلي(المونولوج)، فيخاطب خالد نفسه سائلًا عن سبب حنينه إلى المعتقل، لكنه لا زال يبحث عن الشخص الذي لفق له التهمة التي حطمت أحلامه، وزاد شعوره بالقلق والحيرة غياب (سعاد) ، المرأة التي نشأت بينها وبينه علاقة حميمة جعلته يعود إلى نبض الحياة، لكنها سرعان ما اختفت مخلفة وراءها حيرة وقلقًا تملك خالد، وأعاده إلى سجن العزلة، كما يبدو في المونولوج التالي:**" ما الذي يحدث لك يا خالد؟ إنه الجنون بعينه أن تذهب إلى معتقل أمضيت فيه عشرين عامًا.... ما إن غابت سعاد ذلك الغياب الخاطف المفاجئ حتى رحت تتحسس شكل سجن جديد يشرع أبوابه في صدرك، كأن كل تلك الكلمات والتأوهات والوعود وأنين الجسد في سرير الحب أمست مجرد مشهد في فيلم تحولت شاشة السينما إلى سواد مخيف بعد انتهائه"**[٢٨]

فالشخصية المحورية (خالد) في هذا الحوار الداخلي يعبّر عن شعوره الرهابي تجاه المجتمع والآخرين، وفقدانه للثقة والأمان النفسي حتى مع المرأة التي شاركته علاقة حميمية، ثم تركته بصورة مفاجئة، فعاد يبحث عن السجن الذي يخلد فيه للوحدة بعيدًا عن نفاق المجتمع الذي لفق له تهمة الفساد السياسي.

يكشف الراوي في مواصلته للحديث الداخلي للشخصية المحورية اعترافها بالحالة السيكولوجية الرهابية التي تعاني منها، ولجوئها إلى سرير الطب النفسي في محاولتها للخلاص من حالتها السيكولوجية التي جعلت منها شخصية رهابية تخاف المجتمع ولا تعرف كيف تتعايش مع ما يجري حولها **"ستذهب مدفوعًا بشغف غريب مرضيّ بات يلح عليك منذ أن وجدت نفسك عاجزًا عن فهم ما يجري حولك حتى أن صديقك الدكتور ويلسون الذي راقت له عوالم الشرق فأقام في عمان، لم ينجح**

بطرده منك رغم شرحه المستفيض لأسبابه وطرق التخلص منه وأنت ممدد على سرير يشبه كرسي اعتراف بكل ما يحدث في داخلك"[٢٩]

فخالد في هذه المناجاة الفردية التي ألقاها لنفسه، عبّر عن أفكاره الداخلية العميقة ودوافعه إلى العزلة والقلق، ويعترف بحاجته للجوء إلى الطبيب النفسي (الدكتور ويلسون) الذي حاول علاجه لكن آثار سنوات السجن التي بدت عليه كآثار الشوك المغروس في الجسد، لم يفلح أي طبيب في محوها. **والمناجاة الفردية " تعتبر من المواضعات أو الاصطلاحات الدرامية، وهي خطبة طويلة -إلى حد ما- تلقيها الشخصية الواحدة بمفردها ولنفسها، في صوت مسموع، دون مقاطعة، وفي هذه الخطبة الانفعالية، تعبر الشخصية عن بعض أفكارها الداخلية العميقة ودوافعها"**[٣٠]والمناجاة الفردية التي ألقاها خالد كشفت للمتلقي أبعاد الرواية ومضمونها ورؤية كاتبها، والحالة النفسية التي تسيطر عليه.

انعكست حالة الرُهاب في نفس (خالد) على الطبيعة من حوله، فأصبح كل ما حوله موحشًا مخيفًا، فصوت الرياح أصبح عواءً، والصحراء أصبحت في حالة غضب ووحشية" **ما هي إلا لحظات، وكأن المساء قد حلّ حتى طفقت على المكان عتمة حمراء وراحت الرياح تعوي وهي تعزف على وتر موغل بالوحشة "**[٣١]وهنا تظهر صورة الذعر والوحشة والقلق الذي سيطر على شخصية خالد، فأصبح لا يرى ولا يسمع إلا الوحشة في كل ما حوله، لكنه يحاول مقاومة هذا الشعور متذكرًا نصيحة الطبيب النفسي.

يقول الراوي **"كان عواء ذئب المعتقل يجيء متقاطعًا مع عواء الرياح في مقطوعة صارت خلفية لمشاهد تطل من عتمة الذاكرة، وقطرات ساخنة تتساقط في مكان خفي في دواخلي وصوت الدكتور ويلسون يأتيني محرضًا على الرحيل: لا تستسلم لهذا الإحساس، إنه إحساس زائف وخطير..."**[٣٢]

فالشخصية المحورية في المشهد السابق تعيش حالة سيكولوجية شديدة التأزم، تتصارع في داخلها حالة الرهاب الاجتماعي، واللجوء إلى سجن الذات، وحالة المقاومة لهذا الشعور، بتذكر كلام الطبيب النفسي الذي ينصحها بالابتعاد عن سجن الخوف والوحدة، والخروج إلى المجتمع.

وفي خضمّ هذه الكثافة السيكولوجية التي ظهرت في المقطع السردي الإخباري السابق، يتذكر (خالد) (سعاد) ويشعر بالحاجة الملحّة لوجودها معه في تلك الأوضاع الصعبة، فالمرأة سكن وسكينة للرجل يقول:**" كنت أعي جيدًا أنني لم أكن يومًا بحاجة لسعاد كما كنت أحتاجها في ذلك اليوم الذي استشاطت به الرمال تصفع كل شيء فتخلق شعورًا مليئًا بالوحشة "**[٣٣]فهو يحتاجها كما يبدو ليس احتياج الغريزة، بقدر ما هو احتياج الأنا للأخر، واحتياج الإنسان للأنس، وهذا يبدو في المقطع التالي **" كنت أحتاجها كحاجة يد في طقس بارد لجيب تخلد فيه، فلم تكن في حياتي مجرد امرأة تمرّ مرورًا عابرًا"**[٣٤]فالروائي جلال برجس أراد في هذه الرواية أن يصور معادلة موضوعية بين قسوة الحياة ورهبتها وساديتها على الشخصية الإنسانية، وعاطفة الحبّ والسكينة بين الجنس البشري، وجنسه الآخر التي تخفف وطأة هذه الرهبة، وتعين على تجاوزها.

أما المرأة الثانية في الرواية والتي عاد معها خالد إلى أصله وجذوره التي تعلّق بها وعاد يبحث عنها بعد قسوة المعتقل؛ فهي الجدّة التي خففت من رهبة الاغتراب الذي شعر به خالد بعد عودته من المعتقل حين وجد نفسه غريبًا عن كل شيء، وهذا ما يظهره الحوار التالي **" ارتشفت من كأس الشاي ثم وضعت يدها على رأسي وأخذت تحدثني بحنو:**

- **يا جديدتي أنا دايمن أسمعك وأنت نايم تقول منهو اللي اتهمني هالتهمة وراحن عشرين سنة من عمري. يا خويلد لازم تنسى، في شغلات بحياتنا لزوم ما ندري بيها، موتها أحسن يا جديتي.."**[٣٥]

فدور الجدة هنا يمثل عاطفة الأمومة، التي تشعر بألم شخصية الحفيد، وتحاول تخفيفه بالحنوّ والرعاية والحكمة في تقديم النصح، فهي رغم ضعفها الجسدي تمتلك قوة الدعم لحفيدها خالد لتبث فيه إرادة الحياة، والتغلب على الشعور بالعجز والضياع والخوف من مواجهة المجتمع بعد سنوات الاعتقال.

تستمر الشخصية المحورية في السرد الإخباري لأحداث الرواية، والشواهد والصور التي تظهر الكثافة السيكولوجية، وحالة العزلة والرهاب التي فرضتها على نفسها خوفًا من مواجهة المجتمع بعد ضياع الحلم**" بقيت مستلقيًا أحدق بالسقف، حيث تتدلى أزمنة، تتماهى وتتنافر. زمن المعتقل**

الصحراوي يتقاطع بسجن عزلتي الجديدة. زمن الحلم في زمن النزق قبل المعتقل ...زمن الحلم ذاك يتداخل بزمن حلمي بسعاد فيتماهي الزمنان فأنهض إزاء حلم بوطن حبيبة، وبحبيبة وطن، إذ لا تختلف الخيبة في الحب عن الخيبة في الوطن، فكلاهما وطن وأنت وحدك الشريد بعد خسارة أي منهما "[٣٦]

فالفضاء الزماني بحد ذاته أصبح مصدر رُهاب للشخصية المحورية، فالزمان الماضي ما فيه إلا الذكريات المؤلمة، والزمان الحاضر ما فيه إلا العزلة والخواف من مواجهة المجتمع، والحلم المقتول، والرغبات المكبوته، والخيبة في الحب، فأي زمان يمكنه مواساته؟ وإلى أي زمان يلجأ؟

يجمل الروائي في الجزئية الثانية من السرد الأسباب التي تثير لديه الشعور بالقلق والعزلة والرهاب من المجتمع، وأول هذه الأسباب، غياب المرأة ودورها العاطفي، والذي عبّر عنه بذكر شعوره بالبهجة في الصباح لمجرد رؤيته لسعاد في الحلم.

يقول الراوي**" فأخذت أستشعر رعشة لذيذة تدغدغ بدني، تذكرت بسببها أنني رأيت سعاد في المنام"** [٣٧]فإذا كان مجرد المنام يولد هذه الرعشة اللذيذة لديه، فهذا يوضّح مدى توتره النفسي لفقدانها، ومقدار الكبت العاطفي والرغباتي الذي يعانيه، فعقدة الحرمان العاطفي التي عبّر عنها بالعطش والجفاف، تتجلى بوضوح في حديثه عن غياب سعاد.

والسبب الثاني لحالة القلق والرُهاب لدى خالد شعوره بضياع سنوات العمر دون إنجاز إيجابي يستند عليه في الحياة، وكأن عمره سُرق منه دون أن يشعر، وهذا ما يكشفه المقطع التالي **" وكأني غريب عن نفسي، رحت أتحسس شيبًا استوطن رأسي على غير موعد وأنا ألوح في المرآة التي ما إن نهضت من سريري حتى بدوت لنفسي عبرها وقد كبرت مئة عام إضافية في ذلك الصباح ليغدو سؤال العمر في هكذا مرحلة طافت الخسارات بها على سطح لهاثها اليومي نحو الحياة بلا زوجة وأولاد، ولا بيت تحتسي فيه كأس سكينتك؛ سؤال يشبه خنجرًا يغرس نفسه في الخاصرة مع كل تكة من تكات عقارب الساعة"**[٣٨]فقيمة الزمن تبدو عظيمة في المشهد السابق، وضياعه دون جدوى مخيف جدًا لدرجة أن الراوي شبهه بغرس خنجر في الخاصرة .

والسبب الثالث في حالة الرهاب الاجتماعي لدى شخصية خالد، الذكريات المؤلمة التي تختزن في ذهنه، والتي تلاحقه باستمرار على هيئة كوابيس من زمن المعتقل السياسي في الصحراء، إلى زمن العزلة الاختيارية **" لاحقني طيف كابوس لم أحاول أن أتذكر من ملامحه شيئًا، فقد تعبت من فرط احتلال الكوابيس لي في تلك الأعوام التي أمضيتها في المعتقل وصولًا إلى السنين التي تلت خروجي منه وأنا أعيش عزلة اختيارية مؤلمة"**[٣٩] فالكوابيس لا زالت تلاحق خالد، تجرها الذكريات المؤلمة.

أما السبب الأخير في مشاعر القلق والخوف التي سيطرت على خالد، فهو شعور الاعتياد على حياة المعتقل بعد قضاء عشرين عامًا فيه، والشعور بالاغتراب تجاه البيئة الجديدة التي وجدها أمامه بعد طول الغياب، فكل شيءٍ أصبح مختلفًا وغريبًا **"هذا ما حدث لي وأنا انظر من نافذة العربة العسكرية وهي تركض بي نحو العاصمة لأركض معها بطيف جديد لسجن تحسست وجوده والعربة تعبّ هواء المسافة نحو زمن مختلف.**

عندما اخبرت الدكتور ويلسون...:

- **ثمة أشياء تنهار في الغياب تفقدنا الثقة بالبيئة التي غبنا عنها طويلًا."**[٤٠]

فغياب الثقة في المجتمع الجديد الذي شكّل في نفسه رهابًا اجتماعيًا، ناتج عن حالة التغير المفاجئ التي حدثت في زمن الغياب، فانهارت فيها الروابط القديمة، ونشأت بيئة جديدة تحتاج الشخصية زمنًا آخر للتعود عليها والتماهي فيها، وهذا يتضح أيضًا في المقطع التالي حول الشعور ذاته لدى الجدة **" كانت تغني أغنية تتعربش بأطرافها اللوعة والحنين لزمن غير هذا الزمن الذي ما عاد يقنعها، وهو يتبدل سريعًا غير مستقر على حال واحدة"**[٤١] فسرعة التغيير التي طرأت على المجتمع الأردني في زمن وجيز، لم تتقبلها مشاعر من عايشوها مثل الجدة، فكيف بمن غاب عشرين عامًا في المعتقل حتى اعتاد عليه، ثم عاد إلى بيئة لم يعرفها من قبل، كل ما فيها جديد؟!

بعد المقدمة السردية الإخبارية التي اختصرت مجمل الأحداث في الرواية، بدأ الروائي جلال برجس روايته بالفصل الأول الذي يحمل عنوان **(اعترافات على صدر الورق)** فقد ختم المقدمة السردية الإخبارية بتوجّه الشخصية المحورية خالد إلى الكتابة **" صوّبت فوهة القلم إلى رأس الصفحة البيضاء**

وهمست: إذن ها أنا أكتبني لأولد مرة ثانيةً!"[٤٢] فالرواية بمجملها عبارة عن مذكرات مكتوبة على صدر الورق،

يعود السرد في الفصل الأول إلى الطريقة التي تعرّف فيها خالد على سعاد، حيث زاره صديقه القديم (رداد) الذي كان مقربًا إليه أيام الدراسة في الجامعة، وقدّم له سيارة وجهاز كمبيوتر وهاتفًا محمولًا، كي يستعين بهذه الأشياء الحديثة على الخروج من سجن الذات الذي يعيشه، وأقنعه بقبولها على أن يسدد ثمنها لاحقًا، وعلّمه كيفية استخدام الحاسوب الموصول بالشبكة العنكبوتية التي تتيح له الاتصال بالمجتمع وهو في مكانه، وذكّره بموهبته الكتابية التي تمكنه من الخروج من الحالة النفسية الموحشة التي يعيشها، وباستخدام الفضاء الأزرق تعرّف خالد على سعاد.

وظف الروائي جلال برجس تقنية السرد المتقطع، فبعد سرد الأحداث التي تعرّف فيها خالد على سعاد بعد خروجه من المعتقل، عاد إلى سرد أحداث الاعتقال من بدايتها، إذ كان خالد يسكن في غرفة مستأجرة في عمان عندما تفاجأ بقوة من الأمن تقتحم مكانه وتفتشه، وتعثر على صندوق فيه صور وأسلحة وأوراق سياسية تحت سريره، لم يكن يعرف عنه شيئًا كما ذكر، ولا يعرف من أين أتى، لكن لم يصدقه أحد من رجال الأمن، وتم حمله إلى غرفة حجز انفرادية لمدة أسبوع، حُمل بعدها إلى المعتقل الصحراوي، وهو في حالة صدمة من كل ما حدث له.

والسرد المتقطّع أو **"المتداخل (intercal'ee): هو السرد الذي تتداخل فيه المقاطع السردية المنتمية إلى أزمنة مختلفة (الحاضر والماضي والمستقبل). ويتمثل هذا السرد في الروايات التراسلية، وفي الروايات التي تتخذ شكل المذكرات الحميمية"**[٤٣]فرواية مقصلة الحالم، سرد استذكاري تتداخل فيه الأحداث بما تجود به الذاكرة المضطربة لشخصية الراوي.

يصف الراوي خالد ما حدث له من تعذيب نفسي وجسدي في المعتقل، هو وغيره من المعتقلين السياسيين، يقول:**" ما هي إلا ثوان، حتى انهالت علينا ضربات الجنود بأسلاك معدنية مغلفة بغلاف بلاستيكي فدبّ الصراخ والهلع في المكان، صراخ الجند وشتائمهم تختلط بصراخنا ونحن نتلقى تلك الضربات التي تفسخ اللحم ودماء تسيل حيث تطال الضربات في أجسادنا ..."**[٤٤]ففي هذا المقطع

السردي يصور الروائي الكثافة السيكولوجية التي عاشتها الشخصية المحورية نتيجة التعذيب الجسدي والنفسي، والذي كان سببًا من الأسباب التي أنتجت حالة الرهاب الاجتماعي لدى هذه الشخصية.

ذكر الراوي بعض الشخصيات الثانوية التي كانت تمثّل دورًا بارزًا في المعتقل مثل (سالم عبد الحميد) السجين الذي في أواسط الأربعين من العمر، والذي كان يمثل دور القائد للسجناء، وهو الذي ساعد خالد على تجاوز ألم وجراح التعذيب، وضمّد جراحه.

أما عبد الغفار الذي كشف لنا خالد عن معاناته الخاصة، فقد كان يكابد سجنين يمزقان روحه كل ليلة، سجن المعتقل، وسجن الكبت العاطفي والرغباتي وابتعاده عن المرأة التي تجري من روحه مجرى النفس، والتي رسمها على جدار المعتقل لتكون معه، فإذا نام المعتقلون، قام يحدثها ويغازلها ثم يضاجعها وكأنها معه في الحقيقية، عذاب نفسي يظهره هذا المقطع في وصف المعتقل **" فالمعتقل ليس تلك القضبان التي عادةً ما تكون مطلية بلون يثير فيك إحساسًا غريبًا يشبه الخوف، ولا الجدران التي تبدو مهمتها منحصرة بحجب بصرك فلا تتركه يرتفع عاليًا لتحلم بالمدى الشاسع... بل هو ذلك الصديد الذي يسحن جبين روحك بعد جرح غير قابل لكل محاولات المضادات الحيوية أن يشفى."**[٤٥] ففي هذا الوصف العميق للوضع النفسي الذي يعيشه السجين داخل المعتقل، يمكن للمتلقي أن يتصور الأوضاع الصعبة التي صنعت شخصية خالد الرهابية، فهذه المشاهد لا يمكن احتمالها لأيام، فكيف إذا اجتثت من العمر عشرين سنة متواصلة؟

والسؤال الذي كان يقض مضجع خالد في المعتقل أكثر من كل الأوضاع الصعبة هو**" ثمة سؤال كان يطرق باب دماغي كما تطرق ريحٌ بابًا مواربًا، لماذا عليّ أن أمضي عمرًا في مكان ليس له مهمة سوى خنق الفكرة؟ أي فكرة تأتي كرؤية للحياة وأنا الذي ولدتني أمي وهي ترعى الشياه في فضاء لا يحده شيء سوى الريح والشمس!"**[٤٦]فما أصعب السجن على من ولد ونشأ في فضاء البادية الرحب! وما أشد الشعور بالعقوبة ظلمًا، خاصة عندما تختزل جزءًا ممتدًا من نعيم الحياة.

وظّف جلال برجس الأسطورة الصحراوية والطوطم في صورة الذئب الصحراوي الذي استحضره معادلًا موضوعيًا للشخصية المحورية (خالد)، الذي اعتبره مؤنسًا وشريكًا له في عزلته من

بداية وجوده في المعتقل إلى نهاية أحداث الرواية، وكانت البداية لظهور الذئب في ذهنه أول ليلة له في المعتقل **" بدا لي الذئب وحيدًا، لاح لي أنه خرج على قطيعه الذي يعوم بعيدًا في بحر الليل الصحراوي، يتربص بطرائده عبر بحر المسافات الليلية، عواؤه يشج بطن الليل..."**[٤٧]

واختيار الروائي جلال برجس للذئب الصحراوي في هذه الرواية مرتبط بما يمثله الذئب في التراث العربي من رمزية للمحارب الشجاع، فالمعتقل السياسي يعتقد أنه اعتقل بسبب حماية بلده والدفاع عنها ضد الطامعين بها، وهذا ما يصوره الذئب في المشهد السابق.

والطوطمية **"(الطوتمية) كلمة أبجوية(Objeway) من هنود أمريكا دخلت الإنجليزية سنة ألف وسبعمئة وإحدى وتسعين على يد الأستاذ جي لانج (J. Lang) الذي كان يقوم بوظيفة الترجمان بين البيض والهنود الحمر في أمريكا الشمالية ، ويراد بها كائنات تحترمها بعض القبائل المتوحشة ، ويعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوتمه، وقد يكون الطوتم حيوانًا أو نباتًا، وهو يحمي صاحبه ويبعث إليه الأحلام اللذيذة "**[٤٨]والذئب من أكثر الحيوانات التي دارت حولها الأساطير، يقول راشد عيسى **" لقد حضر الذئب في الميثولوجيات الدينية لدى كل شعوب العالم ، وله صلة ما مع بعض الأنبياء، وله حضور جليل في الشعر كذلك ولا سيما الشعر العربي، فالذئب يعيش في وجدان العربي البدوي عيشة خالدة..."**[٤٩]

كما يبدو تأثر الروائي جلال برجس بالتراث الشعري العربي في التعامل مع رمزية الذئب، فقد استحضره في خلوته على جبل نيبو وشاركه التدفئة على النار التي أشعلها، ثم شاركه الطعام الذي كان بحوزته، يقول: **"ارتفعت وتيرة الأنين فإذا بي أفاجأ بذئب يرتعش بردًا ويقطر ماءً في الملاذ، ذئب بملامح كسيرة في ضوء ألسنة النار بدت ملامحه أكثر وضوحًا وأنا أداري خوفي الذي راح يتلاشى بخفة"**[٥٠]

ويصور خالد في المشهد التالي مشاركته الذئب في الطعام، يقول:**" كان نيبو يشهق بلذعة الجنون التي يمنحها المطر عندما رحت أتناول شيئًا من طعام وضعت نصفًا منه أمام الذئب، - كل يا ذئب. ... -كل يا ذيب، نحن أصدقاء وشركاء في هذا المكان الذي يجمعنا وسط جنون الطبيعة..."**[٥١]

وفي هذا المشهد يبدو تأثر الروائي جلال برجس بما حدث في الأبيات الشعرية للشاعر الأموي الفرزدق إذ يقول:

" وأطلس عسال وما كان صاحبا دعوت بناري موهنًا فأتاني

فلما دنا قلت ادن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نارٍ مرة ودخان..."[٥٢]

فاستحضار الذئب الخارج عن القطيع، ليكون رديفًا لشخصية خالد بما يمثله من متناقضات تجمع بين القوة والانكسار، والشجاعة والخوف، وبما يرمز إليه الذئب في التراث الشعبي والشعري العربي من المناجاة الليلية، والخوف من الإنسان والحذر منه، أعطى للمضمون السردي في الرواية قيمة مضافة.

استمر الروائي جلال برجس في السرد المتقطع بين كتابة الرسائل من خالد لسعاد يشرح لها عن حالته النفسية الصعبة جراء غيابها المفاجئ بعد أن أفضى كل منهما للآخر باعترافات الحب حتى، وبين استرجاع ذكرياته في المعتقل السياسي والأيام الصعبة التي عاشها فيه، لا يؤنسه سوى صوت عواء الذئب، ويكتب ذكرياته مع سعاد في مراسلاتهما على شبكة (الفيسبوك) متسائلًا بحيرة عن سبب تخليها عنه بعد كل هذا التعلق الذي أخرجه من محنته ومن سجنه الاختياري إلى الحياة مرة أخرى.

مثلت المرأة محورًا بارزًا في الرواية، فالروائي أراد أن يصور عمق العلاقة بين الجنسين وآثارها السيكولوجية على كليهما، ففي المعتقل نقل الراوي أوضاع المعتقل السياسي (عبد الغفار) الذي رسم حبيبته سماح على الجدار ليشعر بوجودها معه إلى أن وصل به الاضطراب النفسي لمضاجعة الصورة على الجدار، كذلك خالد الذي لم يفتقد شيئًا في معتقله كفقدان دور المرأة، رغم أنه في ذلك الوقت لم تكن لديه حبيبة، لكنه شعر بالحاجة لأي امرأة يشعر معها بإنسانيته يقول**" وثمة شعور غريزي في تلك اللحظة جعلني أفكر بحاجتي لامرأة، أي امرأة تقتادني من يدي إلى سريرها، وتحضنني فيغور رأسي في صدرها، حينها سأتنهد بعمق واستسلم للإغفاءة بلا قلق " فإن كان البنسلين مضادًا لفيروسات الجسد فحضن امرأة تغدق عليك حبها مضاد للحزن والقلق"** [٥٣]فعلاقات الحب المغمورة بصدق العاطفة وحميميتها مضادة للاضطرابات السيكولوجية مهما كانت كثافتها.

استهل الروائي جلال برجس الفصل الثاني من رواية مقصلة الحالم بعنوان (تلك الليلة في جبل نيبو)، فقد كان لهذا الجبل التاريخي العظيم حضورًا بارزًا في الرواية، فهو الجبل الذي يمثل ارتباطًا دينيًا وحضاريًا لافتًا، وهو الملاذ الذي يعتكف فيه خالد من وحشة المجتمع ورهابه الذي يجثم على قلبه، وهو الطبيعة بما تمثله للإنسان من شريك حيوي يمكنه التعايش معه بسلام.

فبعد خروج خالد من بيته هاربًا من مخاوف الذكريات التي كانت تحبس أنفاسه وفي عمق الكثافة السيكولوجية التي غمرت نفسه، شعر بصوت الدكتور ويلسون يهمس له ناصحًا **"اترك هذه الجدران"** [٤٥]فاستجاب للصوت الذي شعر أنه أزال صخرة ضخمة من دربه، فأخبر جدته بنيته مغادرة المنزل وحمل حاجاته الخاصة، وركب سيارته متوجهًا إلى جبل نيبو يرافقه ذلك العواء للذئب الذي أصبح رفيقًا ملازمًا له.

وصف الروائي جلال برجس على لسان الراوي خالد الليلة التي قضاها على قمة جبل نيبو مشيرًا إلى القيمة الدينية والحضارية التي يمثلها ذلك الفضاء المكاني، والأسباب التي دفعته للجوء إليه للخلاص من أزمته النفسية، فهو **" الجبل الذي كلما وجدتني أتفصد من ذاتي كحجر تحت ألسنة النار، أهرب إليه أرخي أشرعتي التي أتعبها صدامها مع الرياح، وأدلق كل ما بي على محمل البوح ..."** [٥٥]فالروائي جلال برجس أضاف لروايته قيمة رمزية باستغلاله الفضاء المكاني لجبل نيبو الذي التقت عليه الأديان السماوية، وشكّل رمزًا من رموزها.

مثلت سعاد الشخصية الرئيسية الثانية في الرواية، كما أنها من الشخصيات ذات الكثافة السيكولوجية، فهي التي عاشت في أجواء المخيمات الفلسطينية في عمان، ودرست في مدارسها، وعاشت التحولات التي شهدتها مدينة عمان والأردن بشكلٍ عام، وهي التي تعرضت للخيانه من الرجل الذي طلبها للزواج بعد أن تعلقت به، وقبل الزواج اكتشفت أنه على علاقة مع زميلتها في الدراسة، فدخلت في أزمة نفسية، والتجأت إلى الحزب السياسي الذي كان خالد شريكًا فيه.

كانت المفاجأة المدهشة للمتلقي في أحداث الرواية أن تكون سعاد التي تعّرف عليها خالد عبر الفضاء الأزرق (الفيسبوك)، والتي بادلته علاقة حب قوية لم تبق فقط عبر الفضائيات الإلكترونية، وإنما

اكتملت بزيارة سعاد لعمان، ولقائها بخالد على قمة جبل نيبو، وفي شقتها الخاصة، لقاءات متكررة، تبادلا فيها العلاقة الحميمية، وذكرت فيها سعاد لخالد أحداث ماضيها وحاضرها، وبأنه الرجل الثالث في حياتها، فالأول خطيبها الذي خانها، والثاني زوجها الذي ارتبطت به دون علاقة حب، وإنما تزوجته لترضي عائلتها التي كانت تصر عليها بالزواج، فأنجبت منه أولادها الذين أصبحوا شغلها الشاغل في الحياة، لكنها لم تكشف حقيقة معرفتها بخالد السابقة إلا في المطار قبل مغادرتها عمّان .

فجلال برجس هنا يصور المرأة الأردنية في الماضي، كما صورها الروائي محمد حسين هيكل في رواية زينب، فهي تخفي حبها في داخلها لرجل تختاره من محيطها الاجتماعي، وتخضع لإرادة الأهل في الزواج ممن تختاره الأسرة لها **" فكل من المرأة الفلاحة والمرأة الارستقراطية تطيع أهلها وتدوس على قلبها وتحترم تقاليد الأسرة والمجتمع والطبقة التي تنتمي إليها وتكتم حبها في أعماقها وتتزوج من الرجل الذي اختاره لها أهلها "**[٥٦]

فسعاد أحبت خالد منذ أيام الحزب، لكنها أخفت شعورها عن أسرتها وتزوجت برجل وصفته وكأنه غريب عنها، تقول: **عبر تلك السنين الموجعة مع ذلك الرجل، أدركت أن حياتي صارت رهنًا لأطفال عليّ أن أعمل ليلًا نهارًا لأكون وطنًا لهم ..."**[٥٧]فسعاد اعتبرت الزواج مجرد قيد، لأنه لم يمنحها رغباتها العاطفية والنفسية التي حلمت بها مع شخص اختاره قلبها.

اعترفت سعاد لخالد بأنها (سحابة) وليست سعاد، فهي الفتاة التي تعرفت عليه في العمل الحزبي، وانبهرت بكتاباته، فأحبته حبًا جارفًا، وأخذت ترسل إليه الرسائل التي تبوح له فيها بالحب، لكنه هو الآخر كان يعاني من صدمة الخيانة، فخطيبته التي كان يحبها، خانته مع صديقه، فأغلق قلبه أمام النساء، وانشغل بالعمل الحزبي والدراسة، وعندما كان يتلقى رسائل سحابة، كان يمزقها دون رد، وعندما بعثت له رسالة أخيرة تستعطفه وتشرح له عمق محبتها، ردّ عليها هذه المرة، ولكن كان رده قاسيًا جدًا، حطّم قلبها ودفعها إلى الانتقام، فسعاد هي سحابة التي أوقعت خالد في التهمة التي اعتُقِل بسببها وخسر ربيع عمره، فهل يسامحها ؟ وكيف يجتمع الحب والانتقام في نفس واحدة؟!

اختفت سعاد من حياة خالد بعد اعترافها، لكنها لم تغادر قلبه وتفكيره، فقد ظل ينتظر رسائلها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فرغم ما حل به بسببها، بقي يبحث عنها لأنه وجد في الحب الملاذ والأمل، فالاسم سحابة من الزوال وعدم البقاء رغم ما تغدقه السحابة من عطاء، فهو عطاء آني لا يدوم.

أما رداد، فقد كان الشخصية الثانوية التي ساعدت على مجريات الأحداث، فكان دوره مساعدة خالد وسحابة على الالتقاء من جديد لإحياء الأمل بينهما، فهو يعلم حقيقة ما حدث من البداية، لكنه أخفى الحقيقة عن خالد لأن معرفتها لا تجدي بعد فوات الآوان، يقول:**" هنالك أحداث في حياتنا علينا أن ننساها كأنها لم تحدث يا خالد، كل ما فعلته أنني رأيت أملاً بينكما سوف يبث في جسديكما الحياة "**

[٥٨]فرداد أراد أن يخرج خالد من عزلته ويفتح له أفاقًا للحياة بواسطة الفضاء الإلكتروني الذي قرّب المسافات بين أقطار العالم، وجعل العزلة أقل حدّة، فمهما قرر الإنسان البعد عن مواجهة المجتمع، يبقى التواصل عبر الفضاء الإلكتروني بابًا من أبواب التآلف الاجتماعي رغم أنه وهمي.

اختتم جلال برجس روايته بكابوس مرعب رآه خالد عندما أخذه النوم وهو على جبل نيبو بعد أن أتم كتابة مذكراته، فقد رأى سعاد والمحقق يتآمران عليه، ويحاولان إطعامه قضبان الحديد الصدئة المغلية على النار، وهو يصيح متوسلًا طالبًا الحياة، وينادي سعاد التي لم تعبأ باستغاثته، فاستفاق خالد من كابوسه المخيف ليجد نهارًا جديدًا قد أعلنته خيوط الشمس، يمحو كل الذكريات التي استراح من إفراغها على صفحات الورق، وكأنه ولد من جديد، نظر حوله باحثًا عن الذئب الذي كان رفيقًا وهميًا له، فلم يجد له أثرًا. فكأن استفاقة خالد من الكابوس كانت استفاقة من كابوس الرُهاب الاجتماعي الذي سيطر عليه، وانطلق بعدها إلى الحياة مرة أخرى.

وفي الختام يمكن إجمال نتائج الدراسة بالنقاط التالية:

أولًا: ظهور صور عديدة من الشخصيات ذات الكثافة الرهابية من الجانب الاجتماعي في رواية جلال برجس: مقصلة الحالم

ثانيًا: لجوء الشخصية ذات الكثافة الرهابية الاجتماعية إلى العزلة، والخوف من العلاقات الاجتماعية، وشعورها بالقلق، وعدم تقبل ما يطرأ على المجتمع من تغيرات.

ثالثًا: وجود أزمة بين المثقف والمجمع، فأكثر الشخصيات التي تعاني اضطرابات الرهاب الاجتماعي في الرواية من فئة المثقفين الذين يكثرون من القراءة، وخاصة القراءات الأدبية.

رابعًا: لجوء الشخصية التي تعاني الرهاب الاجتماعي إلى الكتابة لتفريغ قلقها وهمومها واضطراباتها على الورق.

خامسًا: بروز أهمية مرحلة الطفولة في تشكيل الشخصية، وانعكاس الأزمات النفسية فيها على الحالة الرهابية التي تصل إليها الشخصية، خاصة عند غياب الدور الأبوي الرحيم.

سادسًا: نفور الشخصية ذات الرهاب الاجتماعي من مظاهر التغيير المفاجئ في المجتمع، وحبها للأصالة والتراث الاجتماعي القديم.

وأخيرًا وضوح أثر العلاقات الحميمية بين الجنسين في التخفيف من حدة الرُهاب الاجتماعي والكثافة السيكولوجية لدى الشخصية. وأن الرُهاب ناتج من نواتج الإرهاب الذي يمارسه الإنسان على أخيه الإنسان.

الهوامش

1) ينظر: أرسطو: فن الشعر، ترجمة: د. إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط)، (د، ت)، ص (٢٩، ٣٠).
2) ينظر: إ.م فورستر: أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي، جروس برس، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص (٢٣، ٢٦).
3) ابن منظور: معجم لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السابع، (باب الشين)، مادة (شخص) ص ٥٠.
4) جيرالد برنس: المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٤٢.
5) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٣-١٤.
6) حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص٢٦٥
7) المرجع نفسه، ص٢٦٨.
8) بسام قطوس: دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٦م، ص ٣٩.

9) ينظر: حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص ٣٠٢.
10) ديانا رحّيل: البناء النفسي للشخصية المحورية، مقال منشور في صحيفة الرأي الثقافي بتاريخ ٤/ ٢/ ٢٠١٧.
11) ينظر: سيجموند فرويد، المؤلفات شبه الكاملة ١، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي دار مدارك للنشر دبي، ط١، ٢٠١٤، ص ٣٩٩.
12) ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٤١-٤٤٢.
13) ينظر: المرجع نفسه والصفحات ذاتها.
14) ابن منظور: معجم لسان العرب، باب الراء، مادة (رهب) ص ٤٣٧.
15) لطفي الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، (د، ط)، (د، ت)، ص ١٣٨.
16) لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مرجع سابق، ص ١٧٤.
17) حسان المالح: الخوف الاجتماعي (الخجل) دراسة علمية للاضطراب النفسي، دار الإشراقات، دمشق، ط٢، ١٩٩٥، ص ١٠٣.
18) حسان المالح: الخوف الاجتماعي، المرجع السابق، ص ٢٣.
19) ينظر: حسان المالح: الخوف الاجتماعي، المرجع السابق، ص ١١٨ وما بعدها.
20) ينظر: المرجع نفسه، ص ١٢٠ وما بعدها
21) ينظر: حسان المالح، الخوف الاجتماعي، المرجع السابق، ص ١٣٠- ١٣١.
22) ينظر: جون هالبرين: نظرية الرواية، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١، ص ٢٦١.
23) *جلال برجس: شاعر وروائي من مواليد ١٩٧٠، يعمل في قطاع هندسة الطيران، عمل في الصحافة الأردنية، رئيس مختبر السرديات الأردني، صدر له مجموعات شعرية، ومجموعة قصصية (الزلازل)، نالت روايته مقصلة الحالم جائزة رفقة دودين للإبداع السردي، وفازت روايته أفاعي النار في فئة الرواية غير المنشورة بجائزة كتارا للرواية العربية ٢٠١٥ وصدرت عام ٢٠١٦ ووصلت روايته سيدات الحواس الخمس إلى القائمة الطويلة لجائزة العالمية للرواية العربية ٢٠١٩. المرجع: الجائزة العالمية للرواية العربية abicfiction.org.
24) جلال برجس: مقصلة الحالم، رواية، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠١٧.
25) نبيل حداد: الرواية في الأردن فضاءات ومرتكزات، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٣، (د، ط) ص ١٥.
26) فاطمة الزغول: رُهاب الحلم، مقاربة ميكروسردية لقصة محاولات القصيرة جدًا للكاتب حسن علي البطران، صحيفة الد دستور الثقافي، الأردن، تاريخ النشر ١٨ كانون الأول ٢٠٢٠م.
27) بسام قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠١، ص ٣٩.
28) جلال برجس، مقصلة الحالم، المصدر السابق ص ٥.
29) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص ١١.
30) المصدر نفسه، ص ١٢.
31) أسامة فرحات: المونولوج بين الدراما والشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د، ط)، (د، ت)، ص٢٤.
32) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص ١٣.
33) المصدر نفسه، ص والصفحة ذاتها.
34) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص ١٥.
35) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.
36) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص ١٧.
37) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر نفسه، ص١٩.
38) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص ٢١.
39) المصدر نفسه ص ٢٣.
40) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٢٤.
41) المصدر نفسه، ص ٢٥.
42) المصدر نفسه، ص٢٦.
43) المصدر نفسه، ص ٣٣.
44) لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مرجع سابق، ص ١٠٦.
45) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٥٢.
46) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٥٨.
47) جلال برجس: مقصلة الحالم، المصدر السابق، ص٦١.
48) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٦٢.
49) محمد عبدالمعيد خان: الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧، (د، ط) ص ٥٥.
50) راشد عيسى: قداسة الذئب في الوجدان الشعبي، مقال منشور في جريدة الرأي الأردنية، تاريخ النشر، ٦- ٧- ٢٠٠٦.
51) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٢١٤.
52) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.
53) ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، العصر الأموي، شعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٦٢٨.
54) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ٩٢.
55) المصدر نفسه، ص ١٠٧.
56) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص ١١١.
57) فوزية العشماوي: المرأة في أدب نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ط١، ص ١٩.
58) جلال برجس: مقصلة الحالم، ص٢٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

1) برجس جلال: مقصلة الحالم، رواية، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ط١، ٢٠١٧.

2) الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، ديوان، العصر الأموي، شعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

المراجع:

1) أرسطو: فن الشعر، ترجمة: د. إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د، ط)، (د، ت).

2) إ.م فورستر: أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي، جروس برس، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

3) ابن منظور: معجم لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السابع، (باب الشين).

4) بحراوي، حسن بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

5) برنس جيرالد: المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

6) حداد نبيل: الرواية في الأردن فضاءات ومرتكزات، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٣، (د، ط).

7) خان محمد عبدالمعيد: الأساطير العربية قبل الإسلام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧، (د، ط).

8) زيتوني لطيف: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

9) الشربيني لطفي: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، (د، ط)، (د، ت).

10) العشماوي فوزية: المرأة في أدب نجيب محفوظ، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ط١.

11) فرحات أسامة: المونولوج بين الدراما والشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د، ط)، (د، ت).

12) فرويد سيجموند، المؤلفات شبه الكاملة، محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي، ترجمة: جورج طرابيشي، دار مدارك للنشر دبي، ط١، ٢٠١٤.

13) قطوس بسام: دليل النظرية النقدية المعاصرة مناهج وتيارات، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٦م.

14) قطوس بسام: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠١.

15) المالح حسان: الخوف الاجتماعي (الخجل) دراسة علمية للاضطراب النفسي، دار الإشراقات، دمشق، ط٢، ١٩٩٥.

16) هالبرين جون: نظرية الرواية، ترجمة محي الدين صبحي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١.

المقالات

1) رحّيل، ديانا: البناء النفسي للشخصية المحورية، مقال منشور في صحيفة الرأي الثقافي بتاريخ ٤/ ٢/ ٢٠١٧.

2) الزغول، فاطمة: رُهاب الحلم، مقاربة ميكروسردية لقصة محاولات القصيرة جدًا للكاتب حسن علي البطران، صحيفة الدستور الثقافي، الأردن، تاريخ النشر ١٨ كانون الأول ٢٠٢٠م.

3) عيسى، راشد: قداسة الذئب في الوجدان الشعبي، مقال منشور في جريدة الرأي الأردنية، تاريخ النشر، ٦- ٧- ٢٠٠٦.